قد تناولت الكتب التاريخية المسيرة الأدبية للشعر الجاهلي بوصفها حركة انفصامية تتجه في معظمها إلى تقسيم عصر الجاهلية إلى قسمين:

أ/العصر القديم أو الجاهلية الأولى

ب/ الجاهلية الثانية قبيل الإسلام، ويميل هؤلاء إلى القول أن العصر القديم أو الجاهلية الأولى يمتد من فجر التاريخ إلى القرن الخامس الميلادي، والجاهلية الثانية قبيل الإسلام تمتد من القرن الخامس المذكور إلى ظهور الإسلام وهي التي جاءنا عنها هذا الكم الأدبي، وهذا الانقطاع بين الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية لم يكن انقطاعا تاما فقد كانت اللغة العربية والشعر العربي خاصة في تلك المرحلة التي لا يزيد عمرها عن مائتي سنة على مستوى راق من التطلع والتقدم، وهذا ما يدفعنا إلى القول ويقتضي بأن وراءها تاريخا طويلا استغرق قرونا عديدة سبقت فترة ما قبل القبل الإسلام شهدت والدة حضارات متتالية لعل أهمها حضارة سبأ وكان موطنها الجنوب الغربي من جزيرة العرب.

1/ من الناحية الجغرافية والثقافية للشعر الجاهلي:

نشأ الشعر العربي القديم في منطقة الجزيرة العربية، حوالي (200) مائتي سنة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي البلاد الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من القارة الأسيوية، يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج

العربي، ويحدها من الشرق والغرب والجنوب سلسلة من الجبال البركانية، كما تتوفر المنطقة على سهول وسواحل تختلف من حيث الاتساع والضيق، وبها هضبة داخلية تعرف بالربع الخالي والنفوذ الكبرى والدهناء وهضبة نجد[1].

عبّر الشعر الجاهلي عن أسلوب الحياة العربية ، وصوّرها بِدقّة عالية عكس فيها أوجه الحياة المتعدّدة، ولهذا سُمّي بـ (ديوان العرب)، أي إنّه الموسوعة التي تحتوي كل الأخبار والقصص، فنجد فيه وَصْفَ الخِيام، والرحلة، ووصف الحيوانات، ورحلات الصيد، والحروب ، كما نجد المدح، والغزل، والهجاء ، الرثاء. وقيل إنّ أفضل القصائد التي كتبها العرب هي تلك التي كُتبت بماء الذّهب وعُلّقت على جدار الكعبة. بدأت القصيدة الجاهلية بالمقدمة الطللية التي يقف فيها الشاعر على الأطلال، فيبكي على الديار الخالية، ويصف الآثار التي خلت من أحبّائه بعد رحيلهم، ثمّ يصف الرحلة، وعناء السفر، ومعالم الطريق، ووحوش الصحراء وحيوانها وغيرها، لينتقل بعدها إلى الغزل بذكر المحبوبة والتّغني بجمالها وأخلاقها، وقد يذكر بعض المغامرات التي عاشها معها قبل رحيلها، وتنتهي هذه القصيدة إلى الموضوع الرئيس الذي يريد أن يتحدّث عنه الشاعر، وقد يكون مديحاً، أو فخراً، أو، حماسةً، أو هجاءً، أو تعصّباً لقبيلته، أو غيرها. من أشهر شعراء العصر الجاهلي هم أصحاب المعلّقات السبعة، وقيل العشرة، وهم:

---

[1] عفيف عبد الرحمن: الشعر الجاهلي، حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2007 ص18.

امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شدّاد، والحارث بن حلزة، والأعشى، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص[2].

2/ شِعر صدر الإسلام والعصر الأموي: ارتبط الشّعر الإسلامي بظهور الدّعوة الإسلاميّة التي حملها الرّسول محمد عليه السلام، وعليه، تجد الشعراء استبسلوا في الجهاد بشعرهم لنصرة الدين الجديد، ومحاربة أعدائهم بالشعر، والفخر بالنبي عليه السلام وهجاء قريش وتسجيل الغزوات. ومن خيرة هؤلاء الشعراء نذكر حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير. وعلى المستوى اللغويّ، فإننا نجد اللغة المُستخدمَة واضحة وسهلة وليّنة، بعيدة عن الغرابة والغموض والرموز المُبهَمة، وتستند إلى أبعاد تاريخيّة دينية، فهي لغة أع الدلالية في الدين والسياسة والاجتماع والتاريخ والطبيعة والتصوف والأدب والذات والموضوع[3]. الشعر الأموي ازدهر الشعر في العصر الأمويّ واتسعت مواضيعه، وتطوّرت أساليبه، وأصبحت معانيه وألفاظه أكثر رقّة ولطافة مماشاةً لحالة العصر الجديد، والمظاهر السياسية، والدينية، والثقافية؛ فقد ظهرت الخلافات السياسيّة، والقَبَلية، والمذهبية، وقد خاض حرب هذه الأحداث الشعراء، وتحيّز كل شاعر إلى جماعته يدافعون عنهم وينشرون أفكارهم

---

[2] ينظر شوقي ضيف، ، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط 11، دار المعارف، خصائص الشعر الجاهلي ص ص 183 -231.

[3] مصطفى الشكعة الأدب في موكب الحضارة الإسلامية- كتاب الشعر، ، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1973، ص:105.

ومفاهيمهم، ويمكننا القول أن الشعراء والأُدباء عامّةً كانوا يُمثّلون الصحافة المحلية لتلك العصور العربية القديمة. أمّا بالنسبة للموضوعات الشعرية فقد كان من الطبيعي أن تتوسع وتزداد في هذا العصر، خاصّةً بعد الانكماش الذي لحقها في عصر صدر الإسلام الذي ركّز كل اهتمامه على الدعوة الإسلامية، فقد نظم الشعراء في هذا العصر في مواضيع كثيرة في الشعر منها ما كانت موجودة من قبل في الجاهلية والإسلام، فتوسّعوا فيها وأكثروا منها، ومنها ما هو جديد ابتكروه استناداً على ظروف الحياة ومتطلباتها، ومنها ما كان له أثر من الجاهلية والإسلام، فأضافوا عليها وعدّلوا قواعدها حتى جعلوها غرضاً مُستقلاً بحدّ بذاته، كالفخر، والمدح، والهجاء، والوصف، والغزل، والخمريّات، والنقائض. من أشهر شعراء العصر الأموي نذكر الأخضل، والفرزدق، وجرير (شعراء النقائض)، وبشار بن برد، والمُقنّع الكندي، شعراء الغزل العذري كجميل بثينة، وقيس ليلى، ومجنون لبنى، وغيرهم الكثيرين[4].

3/ الشعر العباسي طورت الأساليب الشعرية في العصر العباسي بسبب اطّلاع الشعراء على الثّقافات الأجنبية التي وسّعت مداركهم، وزادت من معلوماتهم، إلى جانب تطّور الحياة الحضارية. فنجد أن الشعراء قد مالوا إلى الأساليب السهلة والمفهومة المنسوجة من واقع الحياة، وابتعدوا عن الألفاظ الصعبة التي قلّ استعمالها أو هُجِرت، واعتمدوا على المُحسّنات البديعية، والتجديد في الألفاظ تبعاً لتطّور الأمور، حتى وصلت الحال عند مجموعة من الشعراء إلى

[4] ينظر، شوقي ضيف، الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي، تأليف فالح الحجية، د ، منشورات مطبعة أوفيست الميناء، 1985، ص113-182.

استخدام ألفاظ غير عربية في الشعر. وعليه، يمكننا أن نقول أن مفهوم الأسلوب يعني الطريقة السلوكية التي يعتمدها الشاعر في شعره، بيحث كان لكل شاعر أو مجموعة من الشعراء تلك الطريقة التي عُرفوا بها. لقد نظم شعراء الدولة العباسية الأساليب الشعرية في ضوء حضارة الدولة وثقافتها، وطريقة تذوقها للفنون، لذا جاء الأسلوب الشعري أقرب من يكون إلى الرقّة في النسج، والدقة في التّصوير، وشاعت في الحواشي ألوان من الزخرفة اللفظيّة، والصنعة اللغوية، إضافة إلى النغمة الموسيقية التي تحرّك المشاعر والوجدان. وعليه، نجد أن الشعراء كلّما كانوا أكثر تحضراً مالوا إلى الزينة في كل شيء، فالطّابع الحضري تغشاه الأناقة في كل جوانبه، وهو ما يدلّ على التطور في الأذواق، الرّقي في الأفكار، ورقيها، وهو السبب الذي دفع بالشعر إلى إيجاد أسلوب جديد تركن فيه النفس لتستريح عند جماله وتناسقه ورقّته. من أشهر شعراء العصر العباسي نذكر المتنبي، والأصمعي، وأبا فراس الحمداني، وأبا العلاء المعرّي، وأبا نواس، وابن الرومي، وابن الفارض، وأبا العتاهية، وغيرهم من الشعراء[5].

4/ الشعر الأندلسي ظهر الشعر الأندلسي في ظروف جديدة لا مثيل لها في المشرق العربي، ظروف اتّصلت بالطبيعة الأندلسية وتنوُّعها، وأخرى اتّصلت بالتّكوين الثقافي السّكاني، إذ نرى العرب يختلطون لأول مرة مع أجناس لاتينيَّة، وقوطيّة، وبربريَّة، إضافة إلى اليهود على أرض واحدة، وتتعايش كل هذه الأجناس تحت سماء واحدة تضمّ الأديان السماوية الثلاثة:

---

[5] عن مقالة العصر العباسي، جامعة أم القرى، uqu.edu.sa

الإسلام، واليهودية، والمسيحيَّة، فيُسمع صوت المؤذن إلى جانب رنين الأجراس. وتُستخدم اللغة العربية إلى جانب الأمازيغية، والإسبانية، والكتلانية، فنشأ من التعايش بين هذه الأديان والأجناس والثقافات واللغات جوٌّ خاص وحضارة فذَّة رائعة[6].

انساق الأندلسيون وراء أهل المشرق في أغراض الشعر التقليدية، كما في الوصف، ورثاء الممالك، والشكوى، والاستنجاد، وقد أكثروا من الوصف حتى أننا نستطيع أن نستخلص من شعرهم صورة واضحة للحياة الأندلسية في شتّى نواحيها، فوصفوا الأندلس بما فيها من مدن، ومتنزّهات، وعجائب العمارة، والأودية، والجبال، والبساتين، والرياض، والأزهار، والثمار، والفصول الأربعة، والبحيرات، والسواقي. كما وصفوا الولائم الملكية، والأطعمة، والزينة، والعطور، والملابس، والموسيقا، إضافة إلى اللهو والمجون. وهكذا نجد التنوّع والتجديد في فن الوصف. وإذا أردنا التحدّث عن اللغة الأندلسية فإنّنا نجدها سهلة، سلسة، غير محكمة البناء كلغة المشرق، وذلك يعود إلى بعد الأندلس عن البادية ولغتها القاسية، واختلاط العرب في بيئة أعجمية تمتلئ باللهجات واللغات الأخرى التي أضعفت ملكتهم ورَقَّقَت تعابيرهم. ومع كل هذه العوامل في تلطيف اللغة الأندلسية فإننّا نجد بعض الصعوبة في شعر ابن هانئ، مثلاً، الذي عمد إلى تقليد المتنبي، فانصرف في شعره إلى اختيار الغريب والخشونة والتعقيد. أما بالحديث عن الأوزان الشعرية، فقد تبع فيها الأندلسيون أهل المشرق، إلا أنّهم عمدوا في الغالب إلى

---

[6] ينظر، مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، 1975، ص: 80 – 81.

الموسيقى، فأضافوا أوزانا جديدة ساعدت على إضافة اللحن الموسيقي في الشعر، الذي تحوّل فيما بعد إلى شعر خاص بالغناء عُرف باسم الموشحات. من أشهر الشعراء والوشاحين اخترنا أبا البقاء الرُّندي، وابن حمديس، ولسان الدين الخطيب، وولّادة بنت المستكفي، وعبادة بن ماء السماء، وابن خفاجة، والمعتمد بن عبّاد، وغيرهم الكثير[7].

[7] عن مقالة حمد السروتي، وإكرام زعلوقي، الشعر الأندلسي مميزاته وخصائصه، alukah.net.